



أن المسلمين أمة واحدة كما قال الله - تعالى - : {إن هذه أمتك أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدوني}، وقال: {إنما المؤمنون إخوة}.

قال القرطبي - رحمه الله - (تفسيره 322/16) على هذه الآية: {إنما المؤمنون إخوة}: "أي في الدين والحرمة، لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبتت من أخوة النسب؛ فإن أخوة النسب تنتقطع بمخالفة الدين، وإخوة الدين لا تنتقطع بمخالفة النسب".

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر - رضي الله عنهما - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه)).

وثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)).

وثبت فيهما عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكي عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)).

وثبت فيهما أيضاً عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعضًا، ثم شبك بين أصابعه)).

قال النووي - رحمه الله تعالى - (شرح مسلم 16 / 120): "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره: أما كون المسلم أخي المسلم فسبق شرحه قريباً، وأما لا يخذله: فقال العلماء: الخذل ترك الإعانته والنصر، ومعناه: إذا استعن به في دفع السوء ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي".

وقال ابن رجب - رحمه الله - (جامع العلوم والحكم - ص 333): "من ذلك خذلان المسلم لأخيه": فإن المؤمن مأمور أن ينصر أخيه كما قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)), قال: يا رسول الله، أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال: ((تمتنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه)), خرجه من حديث أنس، وخرجه من حديث جابر، وخرج أبو داود من حديث أبي طلحة الأنصاري وجابر بن عبد الله عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: ((ما من أمرئ مسلم يدخل أمراً مسلماً في موضع تنتهي فيه حرمته وينتفص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من أمرئ ينصر مسلماً في موضع ينتفاص فيه من عرضه وتنتهي فيه حرمته إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته)), وخرج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: ((من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدره على أن ينصره أذله الله على رؤوس الخائق يوم القيمة)), وخرج البزار من حديث

عمران بن حصين عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: ((من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره الله في الدنيا والآخرة)).

وقد أوجب الله - سبحانه - على المسلمين تخلص إخوانهم من الأسر ولو كان بالقتال والأدلة على ذلك كثيرة منها: قال - عز وجل - : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آتَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بِعِصْبِهِمْ أُولَيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَالَكُمْ مِمَّ مَا لَمْ يَأْتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ الْنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}. الآيات

قال القرطبي (56-8):

"يريد إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض الحرب عنكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم إلا أن يستنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدتة، قال ابن العربي: إلا أن يكونوا أسرى مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عدنا يتحمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم، كذلك قال مالك وجميع العلماء. فإن الله وإنما إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وفي أيديهم خزائن أموال وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد".

قال ابن العربي - رحمة الله - (أحكام القرآن 2-440):

"يريد إن دعوا من أرض الحرب عنكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم فذلك فرض، إلا على قوم بينكم وبينهم عهد فلا تقاتلواهم عليهم، يريد حتى يتم العهد أو ينذر على سواء.. - إلى أن قال - إلا أن يكونوا أسرى مستضعفين، فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بأن لا يبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عدنا يتحمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهم كذلك قال مالك وجميع العلماء. فإنما الله وإنما إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال، والعدة والعدد والقوة والجلد".

* قال - تعالى - : {وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارِيٌ تَفَادُهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَؤُمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِهِ}.
قال القرطبي - رحمة الله - (الجامع لأحكام القرآن 2-17):

"ولعمر الله لقد أعرضنا نحن عن الجميع بالقتن فتظاهر بعضاً على بعض! ليس بالمسلمين، بل بالكافرين! حتى تركنا إخواننا أذلاء صاغرين يجري عليهم حكم المشركين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال علماؤنا: فداء الأساري واجب وإن لم يبق درهم واحد.

قال ابن خوزي منداد: تضمنت الآية وجوب فك الأساري، وبذلك وردت الآثار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه فك الأساري، وأمر بفكهم، وجرى بذلك عمل المسلمين وانعقد به الإجماع.

ويجب فك الأساري من بيت المال، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقيين".

قال الجصاص (57-1):

"تدل على أن فداء أسراهم كان واجباً عليهم وكان إخراج فريق منهم من ديارهم محراً عليهم، فإذا أسر بعضهم عدوهم كان عليهم أن يفدوهم فكانوا في إخراجهم كافرين ببعض الكتاب لفعلهم ما حظره الله عليهم، وفي مفاداتهم مؤمنين ببعض الكتاب بقياهم بما أوجب الله عليهم، وهذا الحكم من وجوب مفادة الأسرى ثابت علينا، روى الحجاج بن أرطاة عن الحكم عن جده: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم، ويفدوا عانيهم

بالمعروف والإصلاح بين المسلمين".

قول الله - تعالى - : {وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال النساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولينا واجعل لنا من لدنك مصيرأ}.
قال ابن العربي في هذه الآية (أحكام القرآن 1-583):

"قال علماؤنا: أوجب الله - سبحانه - في هذه الآية القتال؛ لاستنقاذ الأسرى من يد العدو مع ما في القتال من تلف النفس، فكان بذل المال في فدائهم أوجب، لكنه دون النفس وأهون منها. وقد روى الأئمة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني))، وقد قال مالك: على الناس أن يفدو الأسرى بجميع أموالهم؛ ولذلك قالوا: عليهم أن يواسوهم، فإن المواساة دون المفادة".

وقال القرطبي - رحمه الله - (279-5):

" قوله - تعالى - : {وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله}: حض على الجهاد، وهو يتضمن تخلص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن الدين، فأوجب - تعالى - الجهاد لإعلاء كلمة وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده وإن كان في ذلك تلف النفوس، وتخلص الأسرى واجب على جماعة المسلمين؛ إما بالقتال، وإما بالأموال، وذلك أوجب لكونهما دون النفوس، إذ هي أهون منها، قال مالك: واجب على الناس أن يفدو الأسرى بجميع أموالهم، وهذا لا خلاف فيه".

قال الشوكاني في فتح القيدر (1-487):

"والمستضعفين مجرور عطفاً على الاسم الشريف؛ أي مالكم لا تقاتلون في سبيل الله وبسبيل المستضعفين حتى تخلصوهم من الأسر وترحوهم مما هم فيه من الجهد، ويجوز أن يكون منصوباً على الاختصاص، أي: وأخص المستضعفين فإنهم من أعظم من يصدق عليه سبيل الله".

قال سيد قطب - رحمه الله - (الظلال 2-708):

"وكيف تقدرون عن القتال في سبيل الله واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال النساء والولدان؟ هؤلاء الذين ترسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم، وكراهة المؤمن، ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق.. هؤلاء الذين يعانون أشد المحنـة والفتنة لأنـهم يعانون المـحـنة في عقـيـدـتهمـ، وـالفـتـنـةـ فيـ دـيـنـهـ، وـالـمـحـنـةـ فيـ العـقـيـدـةـ أـشـدـ منـ المـحـنـةـ فيـ المـالـ وـالـأـرـضـ، وـالـعـرـضـ؛ لأنـهاـ مـحـنـةـ فيـ أـخـصـ خـصـائـصـ الـوـجـودـ الـإـنـسـانـيـ، الـذـيـ تـتـبعـ كـرـامـةـ النـفـسـ وـالـعـرـضـ وـحـقـ المـالـ وـالـأـرـضـ".

ومن الأدلة:

ما ثبت في الصحيح أيضاً عن أبي حبيفة قال: "قلت لعلي - رضي الله عنه - : يا أمير المؤمنين، هل عندكم من الولي شيء؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يعطيه الله - عز وجل - رجلاً، وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر".

وقد جرت سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - على إنقاذ الأسرى وتخلصهم من العدو، في الصحيح عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((فدى رجلاً برجلي)).

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - : قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((فكوا العاني، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض)) رواه البخاري ومسلم، العاني: الأسير.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : "قال ابن بطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية. وبه قال الجمهور، وقال إسحاق بن راهويه: من بيت المال" (6-205) فتح الباري).

المصادر: